

مشاهد تبكي الحجر يرويها أطباء دوما .. مجزرة الأحد

الكاتب : أسرة التحرير

التاريخ : 16 أغسطس 2015 م

المشاهدات : 9347



يسألني، بماذا تفكر؟!! يرويها حسام عدنان في صفحته على فيسبوك:

بماذا تفكر يسألني هذا الفيس الغبي.

بماذا أفك بعد ما رأيت اليوم.

أنت ما الذي ستفكر فيه وأنت تصحو على مناظر الأشلاء وتنام على أنات الثكالي وتقضى نهارك بين دماء ودموع وبكاء.

تفكر بأن الدنيا كذبة وأن الإنسانية وهم، وأن البشر وحوش وأن ما نعايشه كابوس وليس حقيقة.

تفكر بأنك عاجز ومقهور ومنكوب.

يعني بالله عليك أيها الفيس مازا تفعل عندما يضعون أمامك اثنان وعشرون من الجرحى في أول دقيقة كلهم يمسك بتلابيب

ثوبك الأبيض يتراجاك العلاج تقف بينهم كالأبله بمن ستبدأ.

هذا طفل بريعيه الخامس مبتورة يده، شظية في بطنه، جرح غائر في رأسه!!!

هذا فرسته بالنجاة متوسطة بجانبه شاب بشطيبة في بطنه ينزف دماً غزيراً يتراجاك أن تباشر به ولا تركه على الأرض بين

دماء الجرحى ويناديك باكيأً تركت خمسة من الأطفال صباح اليوم لأحصل لهم كيلو من الشعير أرجوك ساعدني.

تقرر لحظتها علاجه وعندما لهم بإدخاله تفاجأ بالطفل الأول وقد حضرت أمه ترميك بنظرة واحدة، تغنى عن ملابين

الكلمات، تطرق رأسك، تبكي، يصيّبك الجنون، تمشي بينهم، ترفض عيناك متابعة الفرز فقد رسبت بالمحاولة الأولى.

تدخل قاعة العمليات وتقول يا رب لا تحملني ما لا طاقة لي به.



من دوما اليوم... كتبها الطبيب أبو عدنان في صفحته على فيسبوك:

عندما وصلت للإسعاف بعد حدوث الضربة بدفائق ومن بين الجموع الغفيرة أوقفني شخص "لا تدخل فالإسعاف لا يتحمل

دخول أي شخص غير الجرحى" فيقول له شخص آخر "أدخله فهو طبيب"

وكم تمنيت أنني لم أنزل ولم أر ما رأيت فهناك بحر من الدماء يسبح فيه كل من هو بالداخل من مصابين وأطباء وكادر طبي...  
طبعاً

طبعاً تصل فيرمقك أصحابك بنظراتهم وكأنك أتيت لتخلصهم مما هم فيه وهم على يقين تمام أنك وإياهم أصغر بكثير من هول المصيبة التي حلت بأهل الغوطة.

ترى الجرحى الملدون على الأرض أكثر وأخطر بكثير من هم على الأسرة وكل واحد يستجمع ما بقي من قواه ليرفع يده أو ليئن أو يتآلم كي يرسل لك برسالة أنني مصاب وأنت من اختارك الله لتسعفني أو لتتألم لعدم قدرتك على إسعافي...  


وفي لحظة واحدة وعندما تدرك أنت وأصحابك أنكم وصلتم لنقطة العجز وقد بلغت القلوب الحناجر يأتيك صوت من الأعلى...

صوت تنصت له أنت وأصحابك على هذا الصوت فيه ما يهدأ من هذه النفوس "يا جماعة فضوا الإسعاف ضربت الطيارة مرة تانية وتالتة و... وعاشرة"  


وتتوافد الإصابات تلو الإصابات ويرتفق الشهداء تلو الشهداء وتفرغ البرادات من الدم وتتنفذ الأدوات الجراحية المعقة وتنتهي أكياس السيروم وتعمل أنت وأصحابك وكأن الدنيا قد انتهت.  


وحتى الجرحى تنظر إليك نظارات المنعقد عليه الأمل ولا تفرغ من جريح حتى يرمقك آخر بأن أرجوك لا تنسى أنني أمانة بربتك.

فيمسكاك جريح وقد أتيت لتسعف الجريح الذي بجانبه ويقول لك "دكتور والله أنا أجيئت قبلو أنا من أول ضربة طيارة وصلت"

وهنا تمنى أن تصبح ألف قطعة كل قطعة مع جريح أو آخر أو أم ثكلى أو أب مفجوع أو....  


ويصبح زميلك الطبيب الذي يدك بيده من بدء توافد الإصابات "تعال شوف ابن عمي يمكن مات بس ما حاسن آخد قرار فيه"

ويصبح آخر "دكتور تعال شوف هاد اللي فجرتولو صدرو يمكن مات"  


وآخرون يسألونك "هاد اللي عم يتنفس من رقبتو بدو شي؟ فينا نساوليyo شي؟"

وهنا يأتيك الأخوة الذين يحملون همك وهنا تنصت لصوت آخر "في حالات ناخدها عالغوطة"

تشد همتك أن هناك من يشعر بك ويحمل همك لأن هذا الذي شعر بك قد أصابه يوماً ما أصابك.

"دكتور ساعدك بشيء" التفت فإذا طبيب العينية وقد أتى من الغوطة ليشاركك همك ويقدم واجبه الذي قسمه الله له.

وكذلك طبيب الأطفال وكذلك طبيب العصبية و..... فكل واحد يرى في هؤلاء الجرحى أهله.  


طبعاً ومما يشد من عزيمتك ويدفعك للاستمار، هؤلاء الأشخاص الذين يرتدون الزي الأحمر ويطلقون على أنفسهم شباب

الهلال الأحمر فلا همة تعلو فوق همتهن هم المحرك والداعي للاستمرار في كل لحظة من لحظات الكارثة.

وبعد ساعات من الضربة تنظر للإسعاف وقد فرغت أرضه من المصابين ولم تفرغ أسرته فتشعر بأن الوضع قد استقر،  
وهنا انتهت لحظات الإسعاف وهنا تبدأ الكارثة.

فالدفاع المدني بارك الله لهم قد وثقوا أكثر من 100 شهيد.

100 شخص فارقوا الحياة انتقلوا إلى باريهم يشكرون من ظلمهم.

100 عائلة فقدت على الأقل شخص واحد.

100 امرأة فقدت إما إبناً أو زوجاً أو أخيًّا.

100 رجل فقد إبناً أو زوجاً أو أبيًّا أو أخيًّا.

غرف العمليات وفيها من الأطباء الذين أعيادهم التعب وقد استقبلوا أكثر من 70 عملاً جراحياً كبيراً خلال هذه الساعات القليلة.

فقد مر عليهم من تقطعت أمعاؤه ومنهم من بترت ساقاه ومنهم من انفقت عينه ومنهم من حز عنقه ومنهم....  
وهم بملابسهم الأخضر الملطخ بهذه الدماء الطاهرة.

أما العناية المشددة والاستشفاء فلا تنتهي محتتها بهذه البساطة فهو لاء الجرحى إن أمضوا ساعات في الإسعاف والعمليات  
فإن إقامتهم بالعناية أو الاستشفاء مديدة من أيام لأسابيع.

ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً.

المصادر: